جدل الحضــارات
ما بين النـهاية والصراع والتعارف

أ.د.عبدالله محمد الأمين النعيم*

المستخلص

هدف البحث إلى مناقشة قضايا الحضارات واختلافها والذي يجري توظيفه سياسياً من جانب الغرب عبر أطروحات مفكريه للسيطرة على العالم؛ حيث يناقش البحث نظريات نهاية التاريخ وصراع الحضارات وما أدتا إليه من عولمة تحاول اكتساح العالم. كما يناقش البحث موقع الإسلام باعتباره ديناً ونمطاً حضارياً في هذه النظريات. ويشرح البحث الطرح الإسلامي من خلال الخطاب القرآني الداعي لتعارف الحضارات واحترام قناعات الآخر. واستخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، وتوصل إلى العديد من النتائج أهمها أنّ المفاهيم التي يطرحها مفكرو الغرب هدفها إقصاء الآخر وتحويله إلى هامش بينما يظل الغرب هو المركز، وإنّ هذا الفهم يحول دون قيام حوار أو تثاقف بين الحضارات، وأنّ الطرح الجدير بالتبني هو الطرح الإسلامي القائم على فلسفة التعارف الذي يسمح بتعدّد الحضارات وتثاقفها لتطوير ذاتها.

* أستاذ باحث بمعهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة.

مقدمة:

سعى النموذج المعرفي الغربي من خلال أطروحات مفكريه- في رؤيته للعالم وتقسيمه للمعمورة - إلى إلغاء الآخر والهيمنة على العالم مروّجاً لفلسفة نهاية التاريخ وصدام الحضارات ليتم له بذلك ترسيخ العولمة بحيث تصير هي البديل الحضاري العالمي. فنهاية التاريخ ما هي إلا تبشير بانتصار الليبرالية على ما عداها من إيديولوجيات بالانتصار الساحق للنمط الحضاري الغربي فبانتصار المعسكر الغربي وسقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة تنتهي التناقضات الأساسية في العالم بانتصار الليبرالية الاقتصادية والسياسية والديمقراطية الليبرالية ومن ثم تعلن الحضارة الغربية هيمنتها على بقية الحضارات.

وقد روّج مفكرو الغرب لمفاهيم موجّهة غير بريئة "في ظاهرها الفكر وفي باطنها السِّياسة في تحديد علاقته مع الآخر، ومن هذه المفاهيم نهاية التاريخ ، صراع الحضارات، حوار الثقافات، أما نهاية التاريخ فتعني إيقاف الزمان واكتمال التاريخ وتحقق النبوة، فالرأسمالية المنتصرة بعد هزيمة الاشتراكية 1991م هي خاتم النبوة، ونهاية المطاف، فعلى كل الأنظمة التكيّف معها وتبنيها. وهي قادرة على تجديد نفسها وتغيير أشكالها حتى لا تتحجر وتنهار كما حدث للإشتراكية"[1]. وهذه المفاهيم كلها مفاهيم أحادية الطرف تظهر جانباً واحداً من الحقيقة وتخفي الجانب الآخر عن قصد، تظهر جانب المركز، وتخفي جانب الأطراف، فصراع الحضارات يقابله حوار الثقافات ونهاية التاريخ يقابله بداية التاريخ، ولا يقوم العلماء بإخراج هذه المفاهيم بدافع نظري خالص بل تخرج من مراكز أبحاث تخطط للسيطرة على العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وفنياً فهي مفاهيم موجّهة.

إنّ من المعلوم أنّ المركزية الغربية هي المسيطرة – في العصر الراهن – على مختلف الفضاءات، "وهي مركزية تولّدت من نسق ثقافي خاص، وأنه نتيجة لتمخض شهده الغرب منذ القرن السادس عشر الميلادي، وأنه اشتق من حالة الغرب الخاصة وتكمن كفاءته في أنه زبدة ذلك الواقع الذي تجري محاولات تعميمه ليشمل العالم بكل الصيغ الممكنة"[2]. وقد ظلت الثقافة بوصفها منظومة للتصورات الذهنية حاضرة في كل الصراعات عبر التاريخ ومن ذلك "فقد استخدمت الثقافة في الفكر الغربي الحديث لتثبيت ضروب من التمايزات بين ما هو غربي وما هو غير ذلك، وبدأت تبنى على ذلك سلسلة من التراتبات الثنائية بين ما للغرب وما لسواه"[3].

---

[1] نادية مصطفى وعلا أبو زيد (محرران) ، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ، ط2/دار السلام ، القاهرة 2007م ، محاضرة حسن حنفي ، ص56-57.

[2] عبدالله على إبراهيم : المجتمعات الإسلامية ورهانات الحداثة والعولمة ، قضايا إسلامية معاصرة ، العدد 31 – 32، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد 2006م ، ص 246.

[3] المرجع نفسه ، ص 247

وإنّ سؤال العصر هو : كيف يمكن أن نعيش سوياً ومختلفين في "فضاءات التنوع والاختلاف؟[4]، تنوع الأعراق واختلاف المعتقدات والرؤى نحو العالم؟ بالنظر إلى تجارب الاحتكاك بين الحضارات عبر التاريخ يتبين أنّ هذا الاحتكاك سبيل إلى مخرجات تفاعلية حضارية وليس تأكيداً لحقيقة اختلاف الحضارات التي يوظفها الغرب الآن كمحرك للصراعات، فتاريخ الاحتكاك بين الحضارات يبيّنِ عكس هذا، مما يبيّن أنّ الطرح الراهن من جانب الغرب لاختلاف الحضارات هو توظيف سياسي بالأساس[5].

في هذا البحث مناقشة لأطروحات فوكوياما في نهاية التاريخ وصمويل هنتغتون في صدام الحضارات وما تولّد عن مقولاتهما وقاد إلى العولمة لتكون الخيار الوحيد أمام الشعوب وحضاراتها، ثم مناقشة الخيار الذي يطرحه الإسلام من خلال القرآن الكريم ليكون هو الخيار البديل والذي يتسق مع رؤيته للعالم وهي رؤية قائمة على عمارة العالم وإصلاحه واحترام قناعات الآخر وخياراته.

1.نهاية التاريخ :

نشر فرانيسيس فوكوياما زبدة أفكاره حول نهاية التاريخ في العدد (89) من مجلة "Dialogue" الصادر في مارس 1990م بعنوان نهاية التاريخ؟ مناظرة * The end of History? Debate ثم وسع مقالته في كتابه The end of History and the Last man والذي ترجمه حسين الشيخ، ونشرته دار العلوم العربية ببيروت. ففي صيف عام 1989 قامت مجلة "ذي ناشينونال إنتريست "The National Interest" وهي دورية محدودة التوزيع وتهتم بسياسة الولايات المتحدة الخارجية، بنشر مقال قاد بعد وقت قصير إلى إحدى كبريات المناظرات الفكرية في فترة ما بعد الحرب. وقد قام بكتابة المقال: الباحث فرانسيس فوكوياما[6].

يبدأ فوكوياما جدليته بملاحظة أنّ شيئاً جذرياً قد حدث في التاريخ العالمي وأنّ الأحداث الأخيرة وبصورة خاصة ظهور حركات الإصلاح في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية وسيادة ما يسمى بثقافة الاستهلاك "Consumer Culture" في كثير من أرجاء العالم تشير إلى غلبة الغرب ؛ وإلى غلبة النظرة الغربية. والنقطة الحاسمة في مقال فوكوياما تتمثل في ذهابه إلى أنّ الذي نشهده لا يمثل فقط نهاية للحرب الباردة أو حقبة معينة في تاريخ فترة ما بعد الحرب ، وإنما يمثِّل نهاية التاريخ نفسه ؛أي نهاية التطور الإيديولوجي للإنسان

---

[4] راجع موضوعات العدد 31 – 32 من مجلة قضايا إسلامية معاصرة ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، شتاء 2006م.

[5] نادية مصطفى وعلا أبو زيد ، مصدر سابق ، ص 149.

* اعتمدنا على النسخة التي ترجمها أ.موسى آدم أبوزرقه وأ.زاهر أبو عبيدة أحمد، مخطوطه بمكتبة معهد إسلام المعرفة اكتوبر 1997م.

[6] The End of History ? The National Interest16 "Summer 1989"3-18

وسيادة الديمقراطية الغربية كشكل نهائي للحكم[7]... ذلك أنّ التوافق الكامن في النظام الرأسمالي اللبرالي- كنظام حكم – حسب ما يرى فوكاياما بدأ يزحف على العالم وتأكّد هذا بانتصاراته المتتالية على الايديولوجيات الأخرى كالملكية والفاشية والشيوعية فهو بهذا يشكّل المرحلة النهائية في التطور العقائدي للجنس البشري وبالتالي أصبح هو نظام الحكم الأمثل ، وبمعنى آخر فإنّ الوصول لهذا النظام هو "نهاية التاريخ"[8].

إنّ "نهاية التاريخ" ليست نظرية أصيلة من إبداع فوكوياما كما يشير هو بنفسه إلى ذلك ، وربما أمكن فهمها بصورة أفضل في سياق أعمال الفيلسوف الألماني ج.و.ف هيجل "G .W.F Hegel" في القرن التاسع عشر الذي كان معتزاً بألمانيا وبدولة بسمارك الموحدة .إنّ المفاهيم بالنسبة لهيجل تتأطر في العالم المادي في شكل أحداث تاريخية. وبالتالي فإنّ القول بأنّ التاريخ قد انتهى ، في الفهم الهيجلي ، يعني أنّ الصراعات الأيدلوجية قد حلت. إنّ هناك أجماعاً في العالم حول شرعية وقابلية الديمقراطية الليبرالية للتطبيق. وهذا الإجماع الإيديولوجي ليس عالمياً ولا آلياً ولكنه يوجد بدرجة أكبر من أي وقت كان في القرن الماضي. وبالتالي فإنّه لا يكفي لدحض افتراض الاقتراح بأنّ المستقبل يحمل في طياته الكثير من الأحداث الكبيرة والقوية بل لا بد من البرهنة على أنّ مثل تلك الأحداث كان يحركها مفهوم عدالة سياسية واجتماعية رام إلى نسخ الليبرالية[9].وقد كان فوكوياما يشير دوماً إلى أنه قد قدم مقاله المشهور هذا في المقام الأول في شكل محاضرة قبل التحاقه بالإدارة الأمريكية للتفرغ ثم قام بكتابة مقاله ذلك في شكل كتاب *.

إنّ التاريخ بالنسبة لهيجل يمكن فهمه في الإطار المحدود ليعني "تاريخ الفكر عن المبادئ الأساسية" بما في ذلك المبادئ التي تحكم التنظيم السياسي والاجتماعي. وبالتالي فإنّ نهاية تطور الفكر الإنساني فيما يتعلق بتلك المبادئ الأساسية. وهذا التحديد الظاهر لتعريف مفهوم التاريخ إنما هو محاولة لجعله أكثر عمقاً وللتمييز بين ما هو جوهري وما هو عرضي في الشؤون الإنسانية ومن منظور المثالية الهيجلية فإنّ الفكرة هي المحرك للتاريخ، أي أنّ الوعي الإنساني يبدأ في التفكير عن نفسه ومن ثم يتحقق له وعيه بذاته وهذه الفكرة يعبّر عنها ليس فقط في الحوارات الفلسفية للمفكرين ، بل تتجسد أخيراً في مؤسسات سياسية واجتماعية ذات وجود مادي تتمثل لهيجل الشاب في الدولة الثورية النابليونية حينما سيطر نابليون على أوروبا في العام 1806م [10].

---

[7] The End of History Dialogue p,8

[8] فوكوياما : نهاية التاريخ ، ترجمة حسين الشيخ ،ص15.

[9] The End of History? Dialogue p,8

[*] نهاية التاريخ ترجمة وتعليق د. حسين الشيخ ،دار العلوم العربية ، بيروت ،لبنان ، 1993م.

[10] The End of History? Dialogue p,9

إنّ أي شخص يقبل المقدمة المنطقية لفلسفة النزعة التاريخية القائلة بأنّ الحقيقة نسبية لا بد أن يواجه ، وإن كان لا يدري، بمسألة نهاية التاريخ. وذلك لأنه مالم نفترض أنّ التاريخ يمكن أن يأتي إلى نهاية فإنه يكون من المستحيل فلسفياً أن نمنع النزعة التاريخية من أن تنحط إلى نسبية بسيطة أو أن تغوِّض أي مفهوم للتقدم. إنّ أي شخص يؤمن بأنّ فلاسفة الماضي ما هم إلا نتاج لزمانهم لا بد أن يسأل نفسه إذا كان أميناً ومتماسكاً إن لم يكن هو ونزعته التاريخية أيضاً. فبالنسبة لفلاسفة النزعة التاريخية هناك حلان لهذا اللغز، فالأول هو الطريق الذي اختاره هيجل: التصريح بأنّ التاريخ قد آل الى نهاية وقد سلّم هيجل "Hegel" بالنسبية التاريخية للفكر، ولكنه يذهب في فهمه إلى أنّ الرأي قد اتخذ أخيراً شكل الحقيقة، والايدولوجيا قد تحولت إلى فلسفة ورؤى. وقد تمثّل هيجل أيضاً نهاية الفلسفة وذلك لأنّ في المستقبل قد يكون من الاستحالة بمكان صياغة طرح فلسفي حقيقي وجديد ، وقد أيقن هيجل بوضوح فلسفي تام أنّ نهاية التاريخ دعامة ضرورية للدولة الحديثة، وإلا فإنّ مفاهيمها الضمنية للحق سوف لن يكون لها أساس من الحقيقة.

أما الطريق الثاني فهو ذلك الذي اتخذه نيتشه "Nietzsche" واتباعه من القرن العشرين مثل هيديجير "Heidegger" الذي أيَّد تماماً نتائج فلسفة النزعة التاريخية الراديكالية وأدرك أنها ستجعل أى أخلاق أو نظام أخلاقي مستحيل.وإنّ المحاولة لايجاد مضامين سياسية لفلسفة النزعة التاريخية بدون مفهوم نهاية التاريخ تقود إلى مخاطر "الفاشية وتمجيد الحرب"والتي لن يتقبلها إلا القليل منا[11].

ويذهب فوكوياما إلى أنّ الأصوليه الاسلامية هي وحدها المنافس لليبرالية في العالم الإسلامي ، إذ استطاعت أن تحرز نصراً واضحاً على اللبرالية في كثير من الدول .غير أنّ الأصولية لم يكن لها أي رواج خارج المجتمعات غير المسلمة في المقام الأول .فهي تهدد اللبرالية الغربية فقط بالقدر الذي يفرض على بعض الدول التعامل مع مجموعات سكانية مهاجرة صعبة الاندماج ،أو عندما تصطدم الدول الغربية بالجماعات الإسلامية على المستوى القومي أو دون القومي "مثل الإرهاب". إنّ فشل الاسلام في استقطاب اتباع في أوساط شباب الولايات المتحدة أو اليابان مثلاً لهو ذو دلالة، والتفسير المعقول لقوة الأصولية الإسلامية هو اعتبارها رد فعل للرواج القومي للبرالية في مواجهتها المبدئية للعالم الاسلامي" [12]. والمرء يجد نفسه ميالاً لأخذ خطر القومية بأكثر جدية ، ذلك لأنّ الشعور القومي واضح وبجلاء في عالم ما بعد التاريخ. وبتراجع الشيوعية من شرق أوروبا، ويصبح مثيراً للعجب مشاهدة عودة انفجار الصراعات القومية الممتدة. الاختبار الكبير

[11] The End of History? Dialogue PP.10-11

[12] فوكوياما: نهاية التاريخ ترجمة حسين الشيخ ،ص 61-62.

للديمومة "النسبية" للبرالية والقومية سيعود في ألمانيا. الصراع القومي سيتصاعد في أوروبا في العقد أو العقدين القادمين ، وقد لا يكون من الصعب جداً تخيل عودة المواجهات العسكرية حول القضايا القومية، لا حول القضايا الايديولوجية. ومع أنّ هذا الاحتمال يدل على أنّ ما بعد التاريخ لن يكون خال من صراع ذي أهمية، إلا أنّ علينا أن نضع ذلك الصراع في الاعتبار. قبل أن تصل المواجهة القومية حد حروب التاريخ الأيديولوجية الأساسية ، أو تصبح خطراً حقيقياً لنظام العالم، هنالك شروط عديده لا بد من الايفاء بها"[13].

والمنافس الأخير للبرالية هو ما يمكن تسميته بالعامل السيني ''X Factor''وهو إشارة لأمريكة المؤرخه جيرترود هيملفارب "Getrude Himmelfarb"الجديدة الأقل انتشاراً وتهديداً والتي تنظر فوق الأفق بايديولوجية لم يحلم بها في عالم اليوم. ومثل هذه التطورات بالطبع ممكنة. وهيجل نفسه لم يتصور ظهور الفاشية أو الشيوعية في 1806 ، وفي الوقت الذي استطاع فيه كوجوف "Kojeve"بعد ذلك أن يفسرهما من خلال ما يعرف بـفطنة العقل " The Cunning of Reason " نجد أنهما أخرا مجئ الدولة العالمية المتجانسة لهيجل "Hegel,s Universal Hamogeneos State" لمدة مائتي عام.

غير أنّ هيجل يطرح المسألة الكبرى التالية ، وهو أول فيلسوف حديث كبير يذكر أنّ هنالك كينونة ''Being'' أي أنّ الطبيعة البشرية "في الواقع الطبيعة عموماً" ليست ثابتة ولا عامة، وإنما خلقت ذاتياً بواسطة الإنسان في سير تطوره التاريخي . غير أنّ عملية الخلق الذاتي هذه لم تكون عشوائية أو بلا هدف ، إنما تتبع موجهية واضحة أملاها تكشف العقل وهي أيضاً عملية طويلة .إنّ الثورة الديمقراطية العالمية والاعتقاد في فلسفة المساواة والتي عليها تستند لم يكونا الا نتاج الثمانينات، أو حتى الفترة منذ الثورة الفرنسية. وكما يقرر توكويفل ''Toqueville عند كتابته "الديمقراطية في أميركا Democracy in America في القرن الماضي أنّ التطور نحو الديمقراطية القائمة على فلسفة المساواة يبدو أنه عملية تاريخية لا بد منها والتي كانت في الطريق لعدة قرون والتي لا يمكن لأحد مقاومتها على المدى الطويل . والطبيعة الإنسانية- بعبارة أخرى –قد شهدت تغيراً خلال الألفي سنة الأخيرة : أي أنّ وعينا الحديث بمسألة الديمقراطية القائمة على المساواة هو بفهمٍ ما عبارة عن اكتساب مستمر وهو جزء من طبائعنا الأساسية شأنه في ذلك شأن حاجتنا الى النوم أو خوفنا من الموت [14].

التاريخ تطور مضطرد للمجتمعات البشرية من الشكل القبلي البسيط وعبر العديد من الأشكال والأنظمة وحتى تصل في النهاية إلى الشكل الديمقراطي أو النظام الرأسمالي

---

[13] The End of History p,12

[14] نهاية التاريخ، ص 257-278.

الليبرالي، وقد آمن كلا الفيلسوفين هيجل وماركس بأنّ هذا التطور المضطرد للمجتمعات البشرية لا يسير إلى ما لانهاية وإنما محكوم بتوصيل الإنسان إلى شكل محدد لمجتمعه يرضي احتياجاته الأساسية وعندما يتم التوصل إلى هذا الشكل يتوقف التطور. نجد عند ماركس يتبلور في النظام الاشتراكي ، ولا يعني هذا أي توقف للأحداث فالحياة ستستمر لكن الاختلاف الوحيد أنه لن يكون هناك أي تقدم أو تطور فيما يتعلق بالمبادئ أو العقائد ، وسوف يقود التطور التاريخي المضطرد الغالبية العظمى من البشر نحو النظام الرأسمالي الليبرالي[15].

وفي نهاية كتابه يشبّه فوكوياما الجنس البشري بالقطار الطويل من العربات الخشبية التي تجرها الجياد ومتجهاً إلى مدينة بعينها عبر طريق في قلب الصحراء ، وتصل أغلب هذه العربات إلى المدينة في النهاية ولكنها تختلف في توقيت وصولها إلى المدينة ، سرعة أو بطء وصولها إلى الديمقراطية الليبرالية ومن ثم نهاية رحلتها الطويلة، نهاية التاريخ[16].

نهاية التاريخ –إذن –حسب طرح فوكوياما تعني إيقاف الزمان واكتمال التاريخ وتحقق النبوة، فالرأسمالية المنتصرة بعد هزيمة الاشتراكية 1991م هي خاتم النبوة ، ونهاية المطاف ، فعلى كل الأنظمة التكيّف معه وتبنيها . وهي قادرة على تجديد نفسها وتغيير أشكالها حتى لا تتحجر وتنهار كما حدث للاشتراكية [17] .

وفي داخل الولايات المتحدة وخارجها فإنّ مقال فوكوياما قد نتج عنه قدر كبير من التعليق الجاد. فمثلاً نجد أنّ مجلة "تايم" قد جعلت عنواناً لنقاشها لظاهرة فوكوياما العبارة التالية "بداية الهراء "The Beginning of Nonsense" .إلا أنّ كثيراً من النقاد قد اتخذ موقفاً مشابهاً لذلك الذي اتخذه المفكر غير المحافظ وناشر "ذي ناشيونال إنتريست "إيرفنج كريستول "Irving Kirstol" حيال ظاهرة فوكوياما إذ كتب ذات مرة يقول :"إنني لا اعتقد بكلمة مما يقول – فوكوياما - غير أنّ تحليله الواضح لا يمكن أن يرفض أو أن يدحض بسهولة. والمحافظون ينطلقون في نقدهم لفوكوياما من منطلق أنّ اعتقاده بنهاية الحرب الباردة يشكِّل تفاؤلاً أكثر من اللازم ؛ في حين يقول بعض الليبراليين إنه إنما يمر فقط مروراً طفيفاً في نقاشه على تداعيات اجتماعية ملحة مثل الفقر والتفرقة العنصرية[18].

وفي حين يعترف عالم السياسة الفرنسي بيير هاسنر "Piere Hassner" بما لمقال فوكوياما من جاذبية إلا أنه يشير إلى أنّ ما جاء فيه لا ينطبق على العالم الثالث ، ويقول بيير :"إنّ فوكوياما يعي استمرار الحرب وظاهرة الفقر خارج الغرب إلا أنه يميل إلى استبعادها

---

[15] نهاية التاريخ،ص16.

[16] نهاية التاريخ، ص 279.

[17] نادية مصطفى وعلا أبو زيد ، مصدر سابق ، محاضرة حسن حنفي ، ص56-57.

[18] The End of History? P,8

من نقاشه طالما أنها لا تمس الأمم المتطورة العظمى والتي هي في طريقها للخروج من التاريخ. ولكن هل تستطيع تلك الأمم البقاء بمعزل عن التأثر ؟ أليست لدينا أدلة متنامية على التعصُّب الزائد الناتج عن صدمه الثقافات واكتظاظ كوكب الأرض بالسكان؟ أليست هذه الصراعات مرتبطة بتوترات داخلية؛ على المستوى الاقتصادي في أزمان الشدة؟ وعلى المستوى السياسي فإنّ اكتظاظ السكان والتنافس على وجود مكان أرحب يجعل من ظهور الدولة القوية وربما المتسلطة أمراً ممكناً . وفوق كل تلك فإنّ الظمأ والكهنوت قد تؤكِّد على نفسها[19].

إلا أنّ أسباباً أكثر جذرية تجعل إيرفنج كريستول يختلف مع فوكوياما وهيجل . يقول كريستول:"إنّ الطريق الوحيد الذي أعرفه لتحرير المرء نفسه من أسر هيجل وطريقته في التفكير تكمن في الرجوع إلى أرسطاطاليس ، وإلى فهمه أنّ جميع أشكال الحكم من ديمقراطية وأوليغاركية وأرستقراطية وملكية واستبدادية طغيانية هي أصلاً أشكال غير مستقرة وأنّ كل الحكومات السِّياسية انتقالية في جوهرها، وأنّ استقرار كل الحكومات تتآكله قوة الزمن . وأليس من قبيل الصدفة أن يشهد القرن العشرين سلسلة من الثورات على الديمقراطية الرأسمالية الليبرالية العلمانية. وقد فشلت هذه الثورات إلا أنّ المصادر التي تغذيها ما زالت باقية[20].

وربما كان أكثر الردود لفتاً للنظر ذلك الذي قامت به المؤرخة جيرترود هيملفارب والتي تنطلق في نقدها لفوكوياما من منطلقات هجيليه.إنّ قراءة واحدة لهجيل، كما تقول هميلفارب ، تبين أنّ الديالكتية لا تتكون من بداية ووسط ونهاية كما يقول فوكوياما وإنما من فرضية "thesis" ونقيضها "antithesis" وتركيب "جمعية " "Synthesis" وأنّ جمعية الحقبة السابقة تشكل فرضية الحاضر. وهكذا تظل جدلية التاريخ في حركة دائرية دائبة لا تنقطع وهكذا تحفظ دراما التاريخ. وأخيراً تذهب هيملفارب إلى أنّ سير التاريخ لا يمكن التنبؤ به وتقول إنها قد صدمت بالشيوعية والنازية بالقدر الذي أفقدها الثقة وجعلها تكفر بوجود حقائق تاريخية سرمدية إلا حقيقة الصدفة والتغيير ؛ حقيقة أنه لا قياس ولا تنبؤ في سير عجلة التاريخ. وهي تقول أيضاً إنّ فوكوياما لم يأت إلا في الجزء الأخير من مقاله إلى إمكانية ظهور الدين والقومية والعنصر والقبلية كأيدولوجيات منافسة للديمقراطية الليبرالية ليستبعدها بعد ذلك كمنافس للديمقراطية الليبرالية على أساس أنه لا وزن لها على المستوى العالمي . ولكن هذا هو لب الموضوع ؛ فهتلر مثلاً لم يكون يتمتع بوزن عالمي ؛ وإنّ بشاعة جرائمه الإنسانية تكمن في كونها حدث فريد. ومع ذلك هو ما يميزها وهي أحداث مميزة لا

---

[19] The End of History? P,8

[20] The End of History? P.9

لذاتها بل لكونها يمكن أن تتخذ مؤشراً لإمكانية وقوع أحداث غير مسبوقة ولم تخطر على بال [21].

تلك الأقوال أعلاه هي زبدة آراء فوكوياما وناقديه، ومن وجهة نظرنا أنّ القول بنهاية التاريخ الرافع لشعار "لا حداثة بعدي " يتناقض جوهرياً مع الدلالة الثقافية لعقيدة ختم النبوة وما تستتبعه من تصور مفتوح على المستقبل وثقة كاملة في ذرية آدم . "إنّ مبدأ لا نبي بعدي في قراءة عصرية إيجابية يعني إمكانيات غير محدودة لإبداع مستقبليات إنسانية لا هيمنة فيها لماضي يستقطب الزمن أو لتجربة تاريخية تنقلب إلى مرجع مطلق . أما القول بنهاية التاريخ وختم الحضارات فإنه لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب الاعتداء على النبوغ الثقافي والحريات الحضارية للشعوب وتركيز محكم لأوضاع التبعية الاقتصادية والسياسية والجمود الفكري"[22].ففكرة فوكوياما عن نهاية التاريخ تتعارض مبدئياً مع الفكرة الإسلامية وهي فكرة ختم النبوة.

ونظرية فوكاياما ما هي إلاّ إعادة لأطروحات هيجل في الإصلاح الإنجيلي المستند إلى الأفلاطونية - التوراتية المحدثة الجرمانية التي هي مجرد صياغة متنكرة لمبدأ التثليث المسيحي والذي تحدّد نظرياً في نظرية الحلول "حلول الله في المسيح والإنسان عامة" وهو ما يعني التمركز حول الذات بينما يطرح اسبينوزا وحدة الوجود المادية. ليجعل من العالم مكتفياً بذاته يحوي داخله ما يكفي لتفسيره فيتم تأليه الطبيعة وهو ما يعني التمركز حول الموضوع. وفى كلا الحالتين يتم تأليه الطبيعة والإنسان[23]. وهذا هو سبب أزمة الحضارة الغربية المعاصرة فهي حضارة يقودها خطاب حصري ذو معجزات حسِّية محدودة بإطاري الزمان والمكان. وهذه المعجزات لا ترقى في عصر العقل والمنهجية إلى درجة الإقناع وهم مطالبون بالإيمان بها. ومن ثَمَ فإنّ التبرير الوحيد أمام فلاسفة الحضارة الغربية هو القول بأنَ الدَين لا يمكن أن يبنى على العقل ولكن على قواعد من الأخلاق. وعلى الرَّغم من أنها تتحرك وفق مقولات خطاب حصري إلاَ أنَّها تدِّعي العالمية بحيث يصير العالم بأسره مسيَّراً وفق خطابها الحصري المتمحور ثقافياً واجتماعياً على الذات.

---

[21] The End of History? P.9

[22] أحميدة النيفر : ختم النبوة مولد إنسان جديد ، مجلة منبر الحوار ، السنة السابعة العدد (26)، دار الكوثر ، بيروت، خريف 1992م، ص46.

[23] لمعرفة أطروحات هيجل واسبينوزا والحلولية في الحضارة الغربية أنظر:

– أبو يعرب المرزوقي: الدليل الوجودى الحلولى أو شروط التحرر من الأفلاطونية المحدثة الجرمانية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 11، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ماليزيا شتاء 1998م .

– أبو يعرب المرزوقي: الروحانية الاستخلافية، خصائصها وشروطها، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 13، صيف 1998م، ص68-106.

– عبد الوهاب المسيري: الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة، مجلة التجديد، العدد الثانى، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، يوليو 1997م، ص9-27 .

وقد أدى هذا الخلل – التمركز حول الذات والموضوع- إلى أن تحمل الحضارة الغربية بذرة فنائها في داخلها تبعاً لنواميس الحق في الخلق الذي يجعل من الإيمان بالإله الواحد المفارق لمخلوقاته - الذي يمثله النموذج التوحيدي الإسلامي – الأساس في ديمومة الحضارة. وهذا الطرح يتوافق مع الطرح القرآني في رؤيته لنهاية التاريخ "فختم تاريخ البشرية معناه حتمية إظهار دين الحق على الدين كله. أي أنّ للتاريخ معنى يسعى فيه المخلصون لتحقيق غاية الوجود الإنساني"[24]. وطرح القرآن هو (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (الأنفال : 8) (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة: 32-33) (والصف:8-9) .وسيتضح لنا لاحقاً البديل الإسلامي لطرح نهاية التاريخ.

2. صدام الحضارات:

هناك من يعلن أنه بنهاية الحرب الباردة يبرز صراع من نوع جديد بين الحضارات ويتبنى هذا الطرح صمويل هنتيجتون[25]. وصراع الحضارات المقصود منه أنّ الصراع بين المعسكرات والغرب ، الشمال والجنوب الأغنياء والفقراء ، المركز والمحيط ، الاستعمار الجديد وحركات التحرر الجديدة ، قد انتهى لصالح طرف واحد هو الطرف الأول ، فقد كان الطرف الأقوى وعلى الطرف الثاني أن يعترف بالهزيمة . الصراع الآن لم يعد بين نظم سياسية وقوى اقتصادية ، بل صراع حضارات ، والمتفوق في السياسة والاقتصاد يكون متفوقاً بالضرورة في الحضارة لأنها هي التي جعلته متفوقاً[26].

واعتبرت نظرية صراع الحضارات أول محاولة جدية لملئ الفراغ النظري الذي يفلسف سياسة ما بعد الحرب الباردة ويحدد اطاراً عقائدياً لها. ويمكن اختصار نظرية هنتيغتون بأنّ النظام العالمي السابق قام على صراع بين قوى رئيسة ، الولايات المتحدة –

---

[24] إبراهيم محمد زين: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ للدكتور عبد الوهاب المسيرى، مراجعة كتاب – مجلة إسلامية المعرفة، العدد 13، ص182 .

[25] لقد نشر صمويل هنتيجتون S.Huntington مقالاً مثيراً عن صراع الحضارات في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية "Foreign Affairs" شهر حزيران 1993م وأثار ضجة كبرى من الردود والتعليقات منها عدد خاص من مجلة الهلال المصرية، نوفمبر 1993 . وكذلك رد عليه الكاتب الإسلامي محمد جلال كشك في كتابه: قراءة في فكر التبعية، مكتبة التراث الإسلامى، مصر 1994م، ص429 – 469 .

– وانظر لمعرفة طروحات هنتيجتون:

– أحمد القديدى:: الإسلام وصراع الحضارات، سلسلة كتاب الأمة، عدد "44" رئاسة المحاكم الشرعية، قطر الدوحة،"ذو الحجة 1415هـ – مايو 1995" ص53 وما بعدها، 139 – 144 .

– محمد السّماك: موقع الإسلام في صراع الحضارات: مجلة الإجتهاد، العددان26، 27، السنة السابعة، دار الإجتهاد، بيروت "شتاء وربيع 1415هـ – 1995 " ص301 – 318 .

وراجع لصمويل مقاله صراع الحضارات فى: Huntington : Samuel: The Clash of Civilization, Foreign Affairss, 72 : 3 Summer 1993, p49 ff . Also See : Samuel Huntigton : If not Civilization , What ? “Paradigms of the Post - Cold War World , Foreign Affairs 72 : 5 " . - Nov-December 1993

[26] نادية مصطفى وعلا أبو زيد ، مصدر سابق ، ص 56.

الاتحاد السوفيتي ، والعالم الثالث أما النظام العالمي الجديد ،نظام ما بعد الحرب الباردة فيقوم على صراع بين ثماني حضارات هي: الحضارة الغربية ، اليابانية والكونفوشيوسية والهندوكية والأمريكية اللاتينية والأرثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية. وفي اعتقاده أيضاً يمكن أن تضاف الحضارة الأفريقية. وهو يرى أنّ الانتماء إلى حضارة ما يتعدى الفوارق الأثينة والحدود الوطنية وأنّ الحضارات الثامني الكبرى تختزن قوس الصراع المستقبلي وعلى هذا الأساس فهو يرى أنّ حروب المستقبل سوف تجد جبهات لها في نقاط التماس بين الحضارات وخاصة بين الإسلام وكل واحدة من هذه الحضارات على حدة [27].

ويقول هنتيجتون في نظريتة أنّ العالم ينتقل من الصراع السياسي –الأيديولوجي الذي كان أساس الحرب الباردة إلى الصراع الثقافي الذي يشكل أساس الحضارات ويبرر ذلك بقوله "إنّ ما يهم الشعوب ليس المصالح الاقتصادية أو السياسية العقدية بل إنّ ما يهمها هو الإيمان والعائلة والدم والمعتقد ... من أجل ذلك فإنّ صراع الحضارات يحل محل الحرب الباردة كظاهرة مركزية في السياسة العالمية[28].

في الجوهر لا تختلف هذه النظرية الصراعية من صورة الصراع الذي كان قائماً طوال عقود الحرب الباردة إلا من زاوية واحدة وهي اضفاء بعد أشمل من خلال استبدال الدولة الوطنية بالمجموعة الحضارية التي تنتمي إليها الدولة المعنية من أجل هذا يدعو هنتيجتون الغرب إلى اعتماد أمرين أساسيين **الأول** هو عدم الانخداع بالاسترخاء الذي ساد جبهات الصراع بعد انتهاء الحرب الباردة .**والثاني** هو المبادرة إلى دراسة حضارات الآخرين لاكتشاف العوامل المشتركة التي يمكن أن تشكِّل قاعدة لتفاهم أفضل يؤدي إلى تعايش أضمن [29].

وقد كان صمويل هنتيجتون الأكثر تعبيراً عن حقيقية مفادها أنّ الثقافات والحضارات المرشحة لأن تشكِّل عائقاً أمام هذا الانتصار للحضارة الغربية وثقافتها تتمثل في الحضارة والثقافة الإسلامية والكونفوشيسية وحذَّر هنتغتون من قيام تحد إسلامي – كونفو شيوسي مشترك للغرب. ولا يخف هنتيجتون إيمانه بأنّ النهضة الأمريكية قامت على قاعدة وجود عدو خارجي وأنّ هذا العدو الخارجي الذي لا بد منه لاستمرار العوامل المحرضة على النهضة والمحرك لها يكمن في العلاقة الإسلامية – الكونفو شيوسية [30].

---

[27] السماك :مصدر سابق ،ص304.

[28] Huntigton : If not Civilization , What ? "Paradigms of the Post - Cold War World , Foreign Affairs 72 : 5 " . - Nov-December 1993

[29] محمد السماك: المرجع السابق، ص305 .

[30] محمد السماك: المرجع السابق، ص307

يصوغ هنتيجتون نظريته الصدامية مع هذا العدو الجديد الذي يصطنعه على أساسين ؛ثقافي وأمني ؛ يقول الأساس الثقافي بوجوب استعادة وحدة الحضارة الغربية أولاً وتقتضي هذه الاستعادة مكافحة التعددية الثقافية في الغرب وإحياء ثقافة غربية واحدة. أما الأساس الأمني فيقول بوجوب إعادة الصدقية إلى التحالف السياسي العسكري الثقافي في الكتلة الغربية. وهذا يقتضي بدوره العودة للجذور الأوربية للحضارة الأمريكية وتأصيلها والتمسك بها على حساب الجذور المستحدثة غير الأصيلة التي وفدت مع المهاجرين غير الأوربيين[31] .

أما بالنسبة للإسلام فمن وجهة نظر هنتيجتون أنّ العامل الذي يغذي الصراع بين الإسلام والغرب هو اختلاف الثقافات " المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام ، فهو حضارة مختلفة شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته، المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية الأمريكية ولا وزارة الدفاع ، المشكلة هي الغرب ... حضارة مختلفة شعبها مقتنع بعالمية ثقافته ويعتقد أنّ قوته المتفوقة إذا كانت متدهورة فإنها تفرض عليه التزاماً بنشر هذه الثقافة في العالم ، هذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب"[32] .

وكما لاحظ بعض الكُتَّاب: "إنّ الغربيين يواصلون تقديم الإسلام على أنه مرادف للأصولية والإرهاب. هذه الكتابات تنطلق من شعور عميق بعداء يكمن في اللاوعي، يصور الإسلام على أنه الجانب الشرير والجاهل في الحضارة الغربية. وتصور هذه الكتابات الغرب على أنه العقل والإسلام على أنه الجسد، الغرب على أنه مذكر والإسلام على أنه مؤنث. وفي المحصلة الأخيرة يبدو الإسلام وكأنه مثير للغضب والهيجان والعنف والإرهاب، وكلها غرائز جسدية. وهي تحتاج وفقاً لمفهوم "العصرنة" إلى التدجين. وفي الوقت نفسه يرفض المفكرون الغربيون القبول بشرعية أي فكر أو قيم أو معرفة تصدر عن الإسلام، فهل يمكن التعلُّم من الجسد؟ بهذا المعنى يصبح الإسلام من حق "الآخر" السيكولوجي للحضارة الغربية. ويجري التعامل معه على هذا الأساس وهو الأساس الذي أقام عليه هنتيجتون نظريته الصدامية مع الحضارة الإسلامية"[33]. ففكرة البحث عن "عدو" فكرة كامنة في فلسفة الحضارة الغربية لأنّ القيم التي تحكمها هي قيم المنفعة واللِّذة ومن ثم فإنّ حركتها لابد أن تقوم على فلسفة الصراع، والصراع يتطلب القوة وبالقوة يكون البقاء للأقوى .

---

[31] السماك ص 308.

[32] صدام الحضارات: ترجمة طلعت الشايب ، ط2، دار سطور ، القاهرة 1999، ص 352.

[33] Tariq Banuri: Juctice is the Strife , N . P Q . vol . 1-2 Spring 1994 .

– نقلاً عن مقالة محمد السماك: مصدر سابق ، ص316 .

3. **العولمة :**

وقد أدّت هاتان الأطروحتان إلى بروز العولمة كواقع معيش حيث استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تفرض زعامتها على العالم كقوة وحيدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وقد جرى تصوير الإسلام بأنه العدو[34] ، ومن ثم فإنّ الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها ممثِّلة للحضارة الغربية تقوم بمهمة المواجهة مع الإسلام.ولقد استطاع الغرب خلال هذا القرن الأخير أن يكيِّف التغيُّرات وفق منظومته الفكرية ونسقه القيمي، وأن يدفع بتحولات شديدة التأثير كان من نتائجها الاستتباع الحضاري للغرب " فالغرب هو أكبر مؤثِّر على العالم في هذا الوقت ويسيطر على أهم العوامل تأثيراً كالمؤسسات الإعلامية ، السمعية والبصرية ووسائل الاتصال والمعلومات والمنظمات الاقتصادية والشركات متعدّدة الجنسيات... هذه العوامل والمؤسسات هي التي أنتجت العولمة وهي من أخطر محصلاتها ... الغرب الذي أبتكر مفهوم العولمة هو الذي حدَّد مضامينها وهويتها ومكوناتها الفكرية والاقتصادية . وهو الذي يقود حركتها في العالم ويروِّج لهذا المفهوم وهذا هو مصدر الخوف الذي تظهره الأمم والحضارات تجاه قضية العولمة لأنّ الغرب لا يريد إلا نفسه ولا زالت نزعة التمركز حول الذات هي التي تشكِّل عقليته، وإنّ تاريخ علاقاته بالأمم والحضارات كان محبطاً ومروعاً للغاية "[35] .

والعولمة تعني نهاية عصر الاستقطاب ، وبداية العالم ذي القطب الواحد تحت شعار "العالم قرية واحده"وهي بهذا محاولة تشكيل رؤية جديدة ومختلفة نحو العالم والنظر له ككل واحد وجعله إطاراً ممكناً للتفكير دون وضع اعتبار لاختلاف الثقافات والهويات والديانات فهي بهذا التصوُّر " ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي أيضاً وبالدرجة الأولى إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم"[36] ، حيث تبدأ بتكريس سيطرتها على السوق وتجريد الدولة القطرية من سلطانها وإشاعة ثقافة الاستهلاك ، وتجاهل البعد الاجتماعي وحاجات الفقراء ومع نمو العولمة يزداد تركُّز الثروة في أيدي مجموعة قليلة من الناس وتتسع الفروق بين البشر اتسِّاعاً لا مثيل له[37]. فالعولمة على هذا الأساس " نظام يعمل

---

[34] راجع في ذلك: يوخين هبلر وأندريا لويج: الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم، ترجمة أيمن شرف ، الفرسان للنشر والتوزيع ، القاهرة 1994م ، ص19-54.
– جون اسبيزيتو: التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة؟ الهيئة العامة للإستعلامات ، القاهرة 1995م.
Hipplar, Jochen and Andrea lueg (eds.) : The Next threat Western Perecption of Islam , Pluto Press and Trans national Institue, London 1995.

[35] زكي الميلاد: الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مجلة الكلمة ، العدد "20" ، السنة الخامسة ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، بيروت ، صيف 1998م،ص10.

[36] محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، عشر أطروحات ، المستقبل العربي ، العدد 228، بيروت، فبراير 1998م، ص16-17.

[37] للتوسع في مفهوم العولمة ومظاهرها وآثارها راجع:

على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط النّاس بعالم اللاوطن واللا أمة واللا دولة أو يغرقهم في أتون الحرب الأهلية "[38]. وهذه هي النتائج الحتمية لفلسفات ما بعد الحداثة حيث الإعلان عن موت الإله ثم الإنسان ، ومن ثم فلا مجال للقيم فيتم تفكيك كل شيء ويظل المقياس والمعيار هو تحقيق المنفعة الفردية أو منفعة مجموعة من النّاس على حساب السواد الأعظم من البشرية. وابتداءً من أطروحات الأفلاطونية - التوراتية المحدثة الجرمانية ومروراً بأطروحات البرجماتية وانتهاءً بأطروحات الوجودية فإنّ الهدف الذي تسعى لتحقيقه هذه الفلسفات هو تكريس هيمنة الحضارة الغربية ببعديها الرأسمالي والاشتراكي على العالم والتي انتهت به "إلى هذا المآل المقيت الساعي إلى ابتلاع العالم في عولمة الشر المفسد لباطن الإنسان بالتلوث الثقافي الأمريكي ومحيطه الطبيعي بالتلوث الصناعي الأمريكي[39].

إنّ العولمة في محصلتها النهائية هي محاولة لنفي الآخر " وأمركة" العالم من خلال فرض الثقافة الأمريكية وجعلها الثقافة العالمية المهيمنة بحيث تكون المرجعية لبقية الثقافات.فهي تحاول القضاء على الثقافات الوطنية واللغات المحلية باسم التثاقف أو المثاقفة، وتعني في الظاهر التحديث والتمدن والتفاعل الثقافي والحوار المتبادل والأخذ والعطاء وفي الحقيقة تعني التغريب وإنتشار ثقافة المركز. ولقد انتقد صمويل هنتيغتون من يدعون إلى ثقافة عالمية واحدة مرجعيتها الغرب بقوله " كثيرون في الغرب يعتقدون أنّ العالم يسير نحو ثقافة عالمية موحدة وهي ثقافة غربية أساساً. ومثل هذا الاعتقاد متغطرس وزائف وخطر فانتشار السلع الاستهلاكية الغربية لا يعني انتشار الثقافة الغربية"[40]، فحين تعرُّض سائر

– هانس بيترمارتين وهارالد شومان: فخ العولمة ، الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت..

– زكريا إمام زبشير: النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، ط1، مؤسسة التربية للطباعة والنشر ، الخرطوم ، يونيو 1998م ، ص292-316 .

– السيد يسين : الكونية والأصولية وما بعد الحداثة، 2جـ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 1995م.

– مبروك : محمد إبراهيم وآخرون : الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة 1999م.

[38] الجابري : العولمة والهوية الثقافية ،مصدر سابق، ص19-20..

[39] أبو يعرب المرزوقي : الروحانية الاستخلافية ، إسلامية المعرفة، العدد "13" ، ص106. لمعرفة أطروحات الحلولية في الحضارة الغربية أنظر:

– أبو يعرب المرزوقي: الدليل الوجودى الحلولى أو شروط التحرر من الأفلاطونية المحدثة الجرمانية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 11، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ماليزيا شتاء 1998م .

– أبو يعرب المرزوقي: الروحانية الاستخلافية، خصائصها وشروطها، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 13، صيف 1998م، ص68-106.

– عبد الوهاب المسيري: الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة، مجلة التجديد، العدد الثانى، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، يوليو 1997م، ص9-27 .

[40] الغرب... إنّه فريد ولكنه ليس كلياً جامعاً ، ترجمة فاضل جتكر ، أوربا والعرب ، سوريا ، العددان 166-167 ، مايو – يونيو 1997م ص55 ، عن مجلة فورين أفيرز ، العدد 75-6، تشرين الثاني / كانون الأول 1996م.

البلدان لعملية التحديث "فإنها - وفقاً لأطروحات هنتيغتون - قد تتغرَّب بأشكال سطحية دون أن تفعل ذلك على صعيد الأبعاد الأكثر أهمية للثقافة أي على أصعدة اللغة والدِّين والقيم. وفي الحقيقة فإنّ البلدان حين تتحدث تلوذ بثقافتها ودياناتها التقليدية هرباً من العالم الحديث"[41].

والشرط الموضوع أمام الحضارات للدخول في عصر العولمة هو القبول بالنموذج الغربي ، وكمثال فإن دانييل بايبس يذكر... التحديث يتطلب التغريب والإسلام لا يقدّم طريقاً بديلة للتحديث ... العلمانية لا يمكن تجنُّبها ، العلم الحديث والتكنولوجيا يتطلبان استيعاباً للعمليات الفكرية التي تصاحبها ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسات السِّياسية ، ولأنّ المضمون يجب ألا يحاكى بأقل مما يحاكى الشكل فلا بد من الاعتراف بهيمنة الحضارة الغربية حتى يمكن التعلُّم منها ، اللغات الأوربية والمؤسسات التعليمية الفرعية لا يمكن تجنُّبها حتى وإن كانت الأخيرة تشجع على التفكير الحر والعيش السهل ... فقط عندما يقبل المسلمون بالنموذج الغربي صراحة سيكونون في وضع يمكنهم من استخدام التقنية ومن أن يتقدموا "[42]. وهكذا فإنّ العولمة ليست هي البديل الحضاري لحل أزمات العالم إذ أنها وفقاً لأطروحتها تساهم في زيادة حِدّة الصراع بين الدُّول والجماعات.

وفقاً للأطروحات السابقة نهاية التاريخ وصدام الحضارات والعولمة فإنّ الإسلام حاضر في مقولاتها فما الذي يطرحه الإسلام ليكون البديل الذي يستوعب الإنسانية باختلاف أجناسها وتعدّد ثقافاتها بحيث يمكن التعايش في العالم وتعميره بدلاً عن تدميره.وفيما يلي نشرح الخيار الإسلامي في مساجلته بالحسنى لغيره من الحضارات.

4.تعارف الحضارات :

تطرح الرؤية الكونية الإسلامية "تعارف الحضارات باعتباره خياراً ثالث بين نهاية التاريخ وصراع الحضارات ، حيث إنّ التصور الإسلامي لا يكرّس الصراع قانوناً تاريخياً مطلقاً كما تقدِّمه المدرسة الواقعية بروافدها المختلفة ، ولكن الصراع بمعنى التدافع كسُنة من سنن الاجتماع البشري"[43] . ويطرح القرآن الكريم مرتكزات أساسية لتعارف الحضارات تمثّل بجملتها رؤية الإسلام للعلاقة بين الحضارات ولتأسيس المجتمع العالمي والحضارة الإنسانية المشتركة هي:

أولاً : إنّ الاختلاف بين النّاس مبدأ تكويني فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون حياة الإنسان في الدنيا فترة ابتلاء واختبار يظهر فيها التزام الأفراد مبادئ الحق ويختبر من خلالها عزمهم على تطويع ميولهم وأهوائهم إلى القيم العليا التي انبنى عليها نظام الوجود وبيّنتها

---

[41] نفس المكان.

[42] Daniel Pipes :In the path of God , Islam and Power , New York,Basic Books , 1983,pp.197-198.

[43] زكي الميلاد (محرر) ، تعارف الحضارات ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 2006، ص179 وراجع مجموعة المقالات بالكتاب للتوسع في الموضوع.

الشرائع والرّسالات، وهذا ما تؤكّده النصوص القرآنية التالية : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (البقرة : 213).(وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم) (المائدة :48)(وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود :118-119)(وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِير)(الشورى :8).

وإذا كان الاختلاف بين النّاس مبدأ تكويني فإنّ "هذا يؤدي إلى تعدّد الحضارات وخصوصيتها وعدم تماثلها ، لكن في ذات الوقت يوجد بينها نوع من التشابه والقواسم المشتركة التي تؤدي إلى انفتاحها على بعضها البعض وعدم تعاديها"[44]. هذا الانفتاح هو ما يعرف بالمثاقفة"Aculturation" أو التثاقف الحضاري حيث تسعى كل حضارة إلى التفاعل مع غيرها من الحضارات من أجل تطوير ذاتها.

ثانياً: إنّ التّعارف هو المبدأ الذي ينبغي أن تتأسّس عليه العلاقات بين والأمم وهو ما أكده النص القرآني التالي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير) (الحجرات: 13) ، ذلك أنّ التعارف هو "أحد أرقى المفاهيم وأكثرها قيمة وفاعلية ، ومن أشدّ وأهم ما تحتاج إليه الأمم والحضارات . وهو دعوة لأن تكتشف وتتعرّف كل أمة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى بلا سيطرة أو هيمنة أو إقصاء أو تدمير . والتعارف هو الذي يحقّق وجود الآخر ولا يلغيه ويؤسّس العلاقة والشراكة والتواصل معه لا أن يقطعها أو يمنعها أو يقاومها ... فقد ربط ذلك بوحدة الأصل (إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى) وبقاعدة التنوع الإنساني (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ) وأكرمية التقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[45] ، فمعيار الأفضلية هو التقوى أي البعد الإيماني بينما يجعل النموذج الدنيوي معيار الأفضلية والتّفوق للعنصر أو الجنس أو الطبقة.

ثالثاً: إذا كان معيار التفاضل بين النّاس هو التقوى فإنّ الحضارة الجديرة بالهيمنة هي تلك الحضارة التي تحمل قيم الحق والخير للإنسانية جمعاء لا لمجموعة بشرية محدودة. وهذه القيم ينبغي أن تتسم بخاصية الشمول والوسطية والمعيارية والرحمة. ولقد تجسّدت هذه القيم في الخطاب الإسلامي إذ أن القرآن الكريم قد أنزل(تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ) (النحل: 89) ،

---

[44] محمد إبراهيم مبروك : الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة 1999م ص118

[45] الميلاد : الفكر الإسلامي وقضايا العولمة ، ص18– 19.

وشمولية تلك القيم تحتوي على عناصر الإجابة عن التساؤلات المطروحة في سياق المتغيرات العالمية.

ومهما يكن من أمر فإنّ الموقف القرآني من العالم " لا يقوم على خصومة أو عداوة أو حتى تكفير ولكنه يقوم بمنطق المودة والتصالح والتعاون على البر والهداية، ومن ثمّ فالمشكلة الحقيقية ليست في موقف المسلمين تجاه غيرهم ولكنها في سلوك الغير إزاء المسلمين ذلك أنّ الموقف النظري والمبدئي للمسلمين يواجه الواقع العملي بتحديات تصيب علاقتهم بالآخرين بدرجات متفاوتة من التوتر والتعقيد"[46].

إنّ القرآن الكريم – باعتباره حامل الرؤية الكلية للعالم - قد استوعب ميراث النبوات السابقة بمنطق الهيمنة والحاكمية والتصحيح. وفي اعتراف الإسلام بالنبوات السابقة انفتاح للإسلام على بقية الثقافات والحضارات ؛ فالقرآن الكريم لم يلغ الآخر بل دعا إلى محاورته ومدافعته بالأسلوب الذي يرتضيه فتشكيل واقع العالم في منظور القرآن يتم من خلال الحوار الحضاري والمثاقفة والمدافعة التي تهدف إلى المحافظة على عمارة الكون. " وإنّ عالمية تستند إلى التعارف والاعتراف بالاختلاف والتنوع والحوار وحقيقة الإقناع لتعبّر بذلك عن رؤية تأسيسية للعالم يحتل فيها الآخر مساحة مهمة لا تقوم على تصنيفه المؤبّد في دائرة العدو إلا إذا اعتبر هو – أي الآخر- أنّ ذلك خياره في أن يكون عدواً .. عالمية الاستخلاف تقوم بالأساس على مراعاة حق الغير"[47] ، فعالمية الإسلام" لا تعني هيمنة الجزء الداعي على الكل المدعو وإنما تعني توحيد كافة الأجزاء ودمجها في كلية جامعة ومن هنا ينبثق مفهوم الأمة الوسط لا كتميز عن الشرق والغرب ولكن كإلغاء لثنائية الشرق والغرب بإعادة تركيب الحضارات والثقافات ضمن وحدة جامعة وليس في هذا نفي أو هيمنة على خصائص الغير الحضارية"[48]. بينما النموذج المعرفي الغربي المهيمن على العالم يسير وفق مقولات خطاب حصري أو دنيوي يهدف إلى الهيمنة على الشعوب وحضاراتها دون وضع اعتبار لخصوصية الثقافات والحضارات ومن ثم فقد تولّد عن هذا العنف والصراع باعتباره طريقاً وحيداً لفرض إرادة القوة أو مقاومتها.

ولقد طرح القرآن الكريم البعد العالمي للإسلام والخروج إلى الناس في إطار الأمة الوسط التي تتفاعل مع الآخرين وتحمل إليهم قيم الحق والخير لما تتميز به من قيم الإيمان والدعوة إلى المعروف والنهي عن الشر وذلك لتكون شهيدة عليهم وقد كلّفها الله بأداء هذه

---

[46] فهمي هويدي: النظام العالمي الجديد والوحدة الإسلامية، ضمن أبحاث ووقائع اللقاء السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص593.

[47] سيف الدين عبد الفتاح : مدخل القيم، إطار مراجعة لدراسة العلاقات الدولية ، مصدر سابق ، ص393.

[48] أبو القاسم حاج حمد: العالمية الإسلامية ، ج1، ص381-382.

المهمة تكليف اجتباء وجعل إلهي . وهذا البعد العالمي للإسلام قد تمّ تقريره في القرآن منذ العهد المكي (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَكَلِمَاتِـهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف: 158) (وَمَـا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّـاسِ بَشِيراً وَنَـذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ : 28. .) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107) ويرتبط هذا البعد العالمي بختم النبوة.

إنّ شهادة الأمة الإسلامية على أمم العالم تقتضي التفاعل الحضاري بما فيه من مثاقفة ومدافعة وانفتاح على الآخر. والقرآن الكريم باعتباره الكتاب الخاتم قد وضع الأساس لهذا التفاعل فاسترجع كافة الموروث الروحي للبشرية بمنطق التصديق ثم عالجه وأعاد قراءته بمنطق الهيمنة ، وهذا يعني الاستيعاب الإيجابي للثقافات البشرية ومناهجها المعرفية ومن ثم يتجاوزها ليسمو بها.

ولقد كانت الحصرية هي سمة الخطاب الدّيني ابتداءً من النّبي آدم عليه السلام وانتهاءً برسالة النبي عيسى عليه السلام وهذه الحصرية تعني أن الخطاب الدِّيني كان محصوراً بإطاري الزمان والمكان وذلك مراعاة لمصالح تلك الأقوام، لكن ببعثة النبي محمد ρ أُطْلِق الخطاب الدِّيني ليخاطب البشرية جمعاء ومن ثم فقد احتوى هذا الخطاب ميراث النبوات وأصبح بذلك بديلاً للنبوات[49]. وختمت النبوة وذلك لتوحيد المرجعية فلا تتعدّد النبوات التالية ويحدث النسخ والتعارض والاختلاف . وقد جاء الإعلان صريحاً عن هذا الختم في قوله تعالى:(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (الأحزاب: 40. .) وفي الحديث النبوي"مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل النّاس يطوفون به ويعجبون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيِّين"[50] واكتمال هذا البناء بختم النبوة يعني اكتمال الدين (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة : 3) ، حيث تمّ تبيان كل شيء في الكتاب. "والنتيجة اللازمة لكمال الدين وتمام النعمة هكذا أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في طاعتها واتباعها وأن تتوقف سلسلة الرسالة والنبوة بالنسبة للمستقبل"[51].

---

[49] لمعرفة خصائص الخطاب العالمي والخطاب الحصري والفرق بينهما راجع :

– عدنان زرزور: خصائص الخطاب الحصري للقرآن الكريم، بحث غير منشور، مكتبة معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، السودان.

[50] رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين . وقد أخرج مسلم أربعة أحاديث في هذا المعنى في صحيحه، كتاب الفضائل ، خاتم النبيين. وقد أخرج الترمذي هذا الحديث في سننه ، كتاب المناقب باب فضل النبي وكتاب الآداب ، باب الأمثال . كما أخرجه أبو داؤد في مسنده في حديث جابر بن عبد الله . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده.

[51] المودودي : الحضارة الإسلامية ، ص194.

هذه العقيدة - عقيدة ختم النبوة - الثابتة بالنص القرآني والنبوي تتجاوز مجرد الإقرار إلى منهجتها عبر رؤية صاغت موكب الأنبياء السابقين ضمن تصوُّر " فتح مغاليق الماضي مفسِّراً حركة الشعوب والأنبياء ، ومبشِّراً بتحوّل الدِّين من ذات منكفئة على نفسها معادية لكل ما عداها إلى هوية منفتحة على العالمين ومتألقة بهذا الانفتاح. فالنص القرآني قدّم تاريخاً للبشرية من خلال رسالات الأنبياء والرُّسل وكأنها بناء متكامل وتراكم تاريخي ينتهي بتتويج وغاية ، لا يتميُّز شعب عن آخر ولا أمة عن أخرى . ثم جاءت عقيدة ختم النبوة كمبدأ يتمكن من خلاله المؤمن أن يتوجه إلى إرساء الواقع الجديد"[52] .

على صعيد الحضارة فإنّ فكرة عالمية الحضارة الإسلامية متصلة مباشرة بفكرة ختم النبوة ودلالتها على الصعيد المنهجي والفكري والعملي لفهم المسلم لرسالته بصورة خاصة، وفهمه لحركة العالم ومآليته بشكل عام. ومن جانب آخر فإنّ ختم النبوة يمكن النظر إليه على أنّه " فكرة تعلن انتهاء الدورات الحضارية ... وبانتهاء النبوة وختمها انتهت الدورات وأمسك الإنسان بسنن الحضارة ليجعلها مستمرة ... فمعنى ختم النبوة ختم الدورة الحضارية. والميزة الأخرى لمحمد (ﷺ) أنّه للنّاس كافة وهذه هي عالمية الحضارة وانتهاء زمن الدورات وإن كنّا لا نزال نعيش دورة الحضارة وتعدُّدها إلاّ أنّ إرهاصات زوالها بدأت تبرز لمن تأمل"[53] .

فبختم النبوة جاء الخطاب عالمياً والكتاب مصدِّقاً ومهيمناً على ما عداه من الكتب السماوية فهو الحاكم بينهم وشريعته شريعة تخفيف ورحمة وذلك هو "الأساس القوي المحكم الذي أقيم عليه بناء الحضارة الإسلامية العالمية الخالدة ، وما أقيم عليه بناء هذه الحضارة إلا ليتمكن أفراد النوع البشري أجمعون إلى أبد الآباد من الاجتماع على كلمة واحدة وحضارة واحدة ، على كلمة يكونون على شعور تام من كونها كلمة خالدة ، وعلى دين يكون محيطاً بالهدى والحق من جملة نواحيها ولا يكون شئ من جنسها خارجاً من دائرة سلطانه وعلى حضارة تكون في مأمن من حدوث ثغرة في بنائها لفرقة جديدة مصطنعة بين الإسلام والكفر"[54].

إنّ اعتراف الإسلام بالأنبياء واستصحابه لأعراف السابقين – التي لا تخالف عقيدته – مكّن حضارته وأعطاها قدرة فائقة على الاستمداد الثقافي"Cultural Borrowing" من الدوائر الحضارية التي اتصلت بها بعيداً عن أسباب البغضاء والعداوة، مع إمكانات واسعة وفعاله وذكية لنقل مضمون العناصر الثقافية المستمدة إلى صور إسلامية تلتئم مع المبادئ

---

[52] أحميدة النيفر: ختم النبوة ، مولد إنسان جديد، منبر الحوار، السنة السابعة ، العدد "26" دار الكوثر، بيروت، خريف 1992م ، ص43.

[53] جودت سعيد :أقرأ وربّك الأكرم ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 1408هـ/ 1988، ص225-226. وأنظر: – برغوث عبد العزيز بن مبارك : المنهج النبوي والتغيير الحضاري ط1، سلسلة كتاب الأمة "43" ، قطر رمضان 1415 / فبراير 1995م ، ص75.

[54] المودودي : الحضارة الإسلامية ، ص198.

والمفاهيم والمثل الأساسية للإسلام ، وهذا ما يضفي عليها صفة الاستمرارية والديمومة[55]. ولقد امتد الفعل الحضاري الإسلامي رافداً مجرى الحضارات البشرية بالعطاء المتنوع، وظلت الحضارة الإسلامية تحترم التراث الحضاري البشري الذي سبقها والذي عاصرها. ولم يكن العقل الإسلامي بالذي يتشنج في دائرة الذات وينقفل على حدود الأنا .. بل لقد علمته العقيدة التي اعادت تشكيله تقاليد الانفتاح المرن على كل حضارة أو انجاز ما دام أنه قد يتضمن جانباً من الحكمة التي يتحرق العقل بحثاً عنها . ولقد اصبحت هذه التقاليد بالنسبة إليه ممارسات يومية وعادات سائدة امتدت لكي تغطي مسيرته الطويلة. وقد أشار كبار المستشرقين لهذه الخاصية فتحدث عنها غوستاف فون جروبناوم في دراسته المتعلقة بالتاريخ الثقافي للإسلام وبخاصة في كتابيه "الإسلام في العصور الوسطى"[56]. و"الإسلام الحديث – بحث عن الهوية الثقافية " [57]، واصطلح على تسميتها بقدرة الفكر الإسلامي وقابليته الفائقة على الاستيعاب الثقافي المتنوع "Cross-Cultural Absorptiveness" . وقال عنها أجنتس جولد تسيهر " إنّ الإسلام قد أكّد استعداده وقدرته على استيعاب الآراء وتمثُّلها، كما أكّد قدرته كذلك على صهر تلك العناصر الأجنبية كلها في بوتقة واحدة، فأصبحت لا تبدو على حقيقتها إلاّ إذا حللت تحليلاً دقيقاً وبحثت بحثاً نقدياً دقيقاً "[58]. أما برنارد لويس فقد قال " إنّ الحضارة الإسلامية – رغم تنوع أصولها – لم تكن مجرد جمع آلي للثقافات القديمة ، بل هي بالأحرى خلق جديد انبعثت فيه جميع العناصر لتكوّن حضارة جديدة وذلك بأن انتقلت إلى صور عربية وإسلامية، وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من مراحل تطور هذه الحضارة"[59].

إنّ الحضارة الإسلامية بما تملكه من تصورات وقيم وتفاعل ووجود تتعارف مع غيرها من الحضارات وتقبل حوار الحضارات من خلال الركائز التي تقررها وهي أنّ الحضارة العالمية هي تلك التي تتمكن من استيعاب الإنسان منذ وجوده وحتى النهاية المنتظرة للوجود. وهي حضارة عالمية لها فكرها المتكامل وتصوراتها عن الكون والإنسان والحياة وتصوراتها عن المناهج الحياتية المختلفة والمتوازنة التي تصلح للإنسان في كل زمان ومكان .وهي الحضارة التي تستوعب الحكمة أنَّى وجدت . وهي حضارة تعترف لغير

---

[55] أنظر :

– عرفان عبد الحميد : المرتكزات الأساسية التي حفظت للأمة كيانها ، ص 40.

– حكمت عبد الكريم فريحات وإبراهيم ياسين الخطيب : مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، دار الشروق ، عمان 1989م ، ص 156.

– عماد الدين خليل : حول تشكيل العقل المسلم ، ط 4 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، أمريكا 1991م ، ص 79-110.

[56] Von Grunbaum : Medeival Islam , 2ed , Ed ,Phoenex Book 1953.

[57] Modern Islam: The Search for Caltural Identity. California University Press 1962.

[58] العقيدة والشريعة ، ط2 ، ترجمة محمد يوسف موسى ورفاقه ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة 1959م ص11.

[59] برنارد لويس : العرب في التاريخ ، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمد يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت 1954م ، ص 192.

المسلم بحضارته إلا أنها تعتبر تلك الحضارة غير ملائمة في كثير من جوانبها مع حاجات الإنسان وتطلعاته[60] .

وخلاصة الأمر أنّ الرؤية الغربية للعلاقة بين الحضارات تأسست على النزعة الصراعية بينما الإسلام يقوم على فكرة الواحدية والمركزية الحضارية وانحيازه إلى فلسفة التعددية كرؤية كونية ، حيث يرى الإسلام كما يقرّر القرآن الكريم أنّ هذه التعددية هي السُنة الالهية والقانون الكوني ، والبديل الإسلامي لصراع الحضارات هو تدافع الحضارات، وهذا التدافع هو حراك اجتماعي وثقافي وحضاري أى تنافس وتسابق بين الحضارات ، وهذا التنافس يحافظ على التعدُدية ، والتدافع الحضاري هو سبيل التقدُّم والإصلاح[61].

الخاتمة :

1. سعى النموذج المعرفي الغربي من خلال أطروحات مفكريه - في رؤيته للعالم وتقسيمه للمعمورة - إلى إلغاء الآخر والهيمنة على العالم مروِّجاً لفلسفة نهاية التاريخ وصدام الحضارات ليتم له بذلك ترسيخ العولمة بحيث تصير هي البديل الحضاري العالمي.
2. روّج مفكرو الغرب أمثال فوكوياما وهنتغتون لمفاهيم موجّهة غير بريئة في ظاهرها الفكر وفي باطنها السِّياسة في تحديد علاقته مع الآخر ، ومن هذه المفاهيم نهاية التاريخ ، صراع الحضارات ، حوار الثقافات ، وهذه المفاهيم كلها مفاهيم أحادية الطرف تظهر جانباً واحداً من الحقيقة وتخفي الجانب الآخر عن قصد ، تظهر جانب المركز، وتخفي جانب الأطراف ، فصراع الحضارات يقابله حوار الثقافات ونهاية التاريخ يقابله بداية التاريخ، ولا يقوم بإخراج هذه المفاهيم العلماء بدافع نظري خالص بل تخرج من مراكز أبحاث تخطط للسيطرة على العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وفنياً فهي مفاهيم موجّهة ويجري ترويجها في العالم من أجل تشكيله وفق نمط ثقافي معيّن.
3. تطرح الرؤية الكونية الإسلامية التي استلهمت نصوص القرآن الكريم تعارف الحضارات باعتباره خياراً ثالثاً بين نهاية التاريخ وصراع الحضارات ، حيث إنّ التصور الإسلامي لا يكرّس الصراع قانوناً تاريخياً مطلقاً كما تقدمه المدرسة الواقعية بروافدها المختلفة ، ولكن الصراع بمعنى التدافع كسُنة من سنن الاجتماع البشري . ويطرح القرآن الكريم مرتكزات أساسية لتعارف الحضارات تمثّل بجملتها رؤية الإسلام للعلاقة بين الحضارات ولتأسيس المجتمع العالمي والحضارة الإنسانية المشتركة هي: إنّ الاختلاف بين النّاس مبدأ تكويني. وإذا كان الاختلاف بين النّاس مبدأ تكويني فإنّ هذا يؤدي إلى تعدّد

---

[60] محمد على ضناوي : مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية ، ص 86-90.

[61] انظر مقدمة محمد عمارة في : عطية فتحي الويشي : حوار الحضارات ، إشكالية التصادم وآفاق الحوار، مكتبة المنار الإسلامية ، ط1 ، 2001م ، ص 16 – 18.

الحضارات وخصوصيتها وعدم تماثلها، لكن في ذات الوقت يوجد بينها نوع من التشابه والقواسم المشتركة التي تؤدي إلى انفتاحها على بعضها البعض وعدم تعاديها هذا الانفتاح هو ما يعرف بالمثاقفة "Aculturation" أو التثاقف الحضاري حيث تسعى كل حضارة إلى التفاعل مع غيرها من الحضارات من أجل تطوير ذاتها.

4. الحضارة الجديرة بالهيمنة هي تلك الحضارة التي تحمل قيم الحق والخير للإنسانية جمعاء لا لمجموعة بشرية محدودة. وهذه القيم ينبغي أن تتسم بخاصية الشمول والوسطية والمعيارية والرحمة. ولقد تجسّدت هذه القيم في الخطاب القرآني والنبوي وهو ما يعكس فلسفة الإسلام ورؤيته للعالم.

المراجع

1. أحمد محمود صبحي : فلسفة الحضارة ، سلسلة كتابك ، القاهرة 1977م .
2. أحمد القديدي : الإسلام وصراع الحضارات ، سلسلة كتاب الأمة (44)، رئاسة المحاكم الشرعية ، قطر ذو الحجة ، 1415هـ / مايو 1995م .
3. أزوالد إشبنجلر: تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة أحمد الشيباني ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت 1964م
4. برغوث عبد العزيز بن مبارك : المنهج النبوي والتغيير الحضاري ط1، سلسلة كتاب الأمة "43" ، قطر رمضان 1415 / فبراير 1995م.
5. برنارد لويس : العرب في التاريخ ، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمد يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت 1954م.
6. جودت سعيد :أقرأ وربّك الأكرم ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 1408هـ/ 1988.
7. جون اسبيزيتو: التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة؟ الهيئة العامة للإستعلامات ، القاهرة 1995م.
8. حكمت عبد الكريم فريحات وإبراهيم ياسين الخطيب : مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، دار الشروق ، عمان 1989م.
9. زكي الميلاد (محرر) ، تعارف الحضارات ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق 2006 .
10. زكريا إمام زبشير: النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، ط1، مؤسسة التربية للطباعة والنشر ، الخرطوم ، يونيو 1998م ، ص292-316 .
11. السيد يسين : الكونية والأصولية وما بعد الحداثة، 2جـ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 1995م.
12. سيف الدين عبد الفتاح : مدخل القيم، إطار مراجعة لدراسة العلاقات الدولية المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
13. صمويل هنتنيجتون : صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب ، ط2 ، سطور ، القاهرة 1999م.
14. عبد الحميد صديقي : تفسير التاريخ ، ترجمة كاظم جوادي ، الدار الكويتية للطباعة والنشر.
16. عثمان أمين : الجوانية ، أصول عقيدة وفلسفة ثورة ، دار القلم ، القاهرة 1964م.
17. عطية فتحي الويشي : حوار الحضارات ، إشكالية التصادم وآفاق الحوار، مكتبة المنار الإسلامية ، ط1 ، 2001م.
18. عماد الدين خليل:

- التفسير الإسلامي للتاريخ ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، "بدون تاريخ" .
- حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، الطبعة الأولي ، سلسلة كتاب الأمة (4) رئاسة المحاكم الشرعية ، قطر ، رمضان 1403هـ .وطبعة المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
19.فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ ، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ ، الطبعة الأولى ، دار العلوم العربية ، بيروت 1993م .
20.فردريك ،أنجلز : التفسير الآشتراكي للتاريخ ، ترجمة راشد البراوي ، ط2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1968م.
21.فهمي هويدي: النظام العالمي الجديد والوحدة الإسلامية، ضمن أبحاث ووقائع اللقاء السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي.
22.محمد إبراهيم مبروك "وآخرون" : الإسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة 1999م .
1994م
23.محمد جلال كشك: قراءة في فكر التبعية، مكتبة التراث الإسلامى، مصر 1994م.
24.محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، الطبعة الأولى ، دار المنار ، القاهرة 1984م
25.محمد هيشور :سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، الطبعة الأولي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية "30" ، القاهرة 1996م
26. مراد هوفمان : الإسلام كبديل ، ترجمة الدكتور غريب محمد غريب ، الطبعة الأولي ، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام إلمانيا ، شوال 1413هـ / أبريل 1993م
27. نادية مصطفى وعلا أبو زيد (محرران) ، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ، ط2/دار السلام ، القاهرة 2007م.
28 هانس بيترمارتين وهارالد شومان: فخ العولمة ، الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت..
29 يوخين هبلر وأندريا لويج: الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم، ترجمة أيمن شرف ، الفرسان للنشر والتوزيع ، القاهرة 1994م.

الدوريات :

1. إبراهيم محمد زين: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ للدكتور عبد الوهاب المسيرى، مراجعة كتاب - مجلة إسلامية المعرفة، العدد 13 .
2. أحميدة النيفر : ختم النبوة مولد إنسان جديد ، مجلة منبر الحوار ، السنة السابعة العدد (26)، دار الكوثر ، بيروت، خريف 1992م.

3. زكي الميلاد: الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مجلة الكلمة ، العدد "20" ، السنة الخامسة ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، بيروت ، صيف 1998م.
4. طه جابر العلواني : آفاق التغيير ومنطلقاته، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير في الواقع العربي، مجلة الإجتهاد، السنة السادسة، العدد "24"، دار الاجتهاد، بيروت، صيف 1415هـ 1994م .
5. عبدالله على إبراهيم : المجتمعات الإسلامية ورهانات الحداثة والعولمة ، قضايا إسلامية معاصرة ، العدد 31 – 32، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد 2006م
6. عبدالوهاب المسيري : الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة ، حالة اليهودية ، أطروحة ماكس فيبر وبيتر برجر، مجلة التجديد ، السنة الأولي ، العدد الثاني ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، ربيع الأول 1418هـ / يوليو 1997م .
7. عرفان عبدالحميد فتاح : المرتكزات الأساسية التي حفظت للأمة وحدتها ، مجلة التجديد ، السنة الأولي ، العدد الثاني ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، ربيع الأول ، 1418هـ ، يوليو 1997م.
8. عماد الدين خليل: حول عوامل تدهور الحضارة الإسلامية ، مجلة التجديد، ع(8)، الجامعة الإسلامية ، كوالا لمبور .
9. محمد السَماك: موقع الإسلام في صراع الحضارات: مجلة الإجتهاد، العددان26، 27، السنة السابعة، دار الإجتهاد، بيروت "شتاء وربيع 1415هـ – 1995 " .
10. محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، عشر أطروحات ، المستقبل العربي، العدد 228، بيروت، فبراير 1998م.
11. أبويعرب المرزوقي : الدليل الوجودي الحلولي أو شروط التحرر من الإفلاطونية المحدثة الجرمانية، مجلة إسلامية المعرفة ، السنة الثالثة ، العدد "11" ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ماليزيا ، شتاء 1418هـ / 1998م 290.
- الرّوحانية الاستخلافية ، خصائصها وشروطها ، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة، العدد "13"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ماليزيا ، صيف 1419هـ / 1998م.

المراجع الأجنبية:

1.Daniel Pipes :In the path of God , Islam and Power , New York,Basic Books , 1983.
2.Hipplar, Jochen and Andrea lueg (eds.) : The Next threat Western 3.Perecption of Islam , Pluto Press and Trans national Institue, London 1995.
4. Fukuyama : Francis : The End of History and The Last Man, The Free Press, New York 1992.
5. Spengler : Oswald : The Decline of The West, Translate by Charles F. Athinson, Vol.1., New York 1946.
6.Von Grunbaum : Medeival Islam , 2ed , Ed ,Phoenex Book 1953.
7. Toynbee. A., : A study of History, The Abridged version, by D.C. Somervell, Oxford University Press, London 1957.

2. Periodical :

1.Fukuyama : Francis : The “End of History?” Debate, Dialogue, Number 89, 311990, U.S. Information Agency, Washington.
2. Huntington Samuel : The Clash of Civilization, Foreign Affaris, U.S.A., Summer 1993.
_____: If not Civilization, What? Paradigms of the Post - Cold War World, Foreign Affairs, November - December 1993.